

خطبة الجمعة لتاريخ 2013/6/09

تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ وَلَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَا مَكَانَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، بَلَغَ الرَّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ سورة النساء.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذَلِكَ فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

وَمِنْ أَصُولِ عَقَائِدِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْأَدِلَّةُ وَالْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْعَقْلِ وَالْإِجْمَاعِ تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ التَّحْيِيزِ فِي مَكَانٍ أَوْ الْإِنْتِشَارِ فِي الْأَمَاكِينِ، فَرُبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْمَكَانِ، كَانَ قَبْلَ الْأَمَاكِينِ كُلِّهَا مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجِ إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَمَاكِينِ وَبَعْدَ خَلْقِهَا مَا زَالَ كَمَا كَانَ مَوْجُودًا بِلَا مَكَانٍ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا اشْتَهَرَ بَيْنَ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ وَخَوَاصِّهِمْ يُعَيَّرُ وَلَا يَتَعَيَّرُ إِذْ لَوْ جَازَ عَلَيْهِ

التَّعْيِيرُ لاحتِاجَ إِلَى مَنْ يُعَيِّرُهُ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ لَا يَكُونُ إِهْلَاءً، ثُمَّ الْمَكَانُ إِخْوَةٌ الْإِيمَانِ هُوَ الْفِرَاقُ الَّذِي يَشْغَلُهُ الْجِسْمُ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ هُوَ مَا يَأْخُذُهُ الْحَجْمُ مِنَ الْفِرَاقِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ فِي مَكَانٍ لَكَانَ جِسْمًا لَهُ طُولٌ وَعَرْضٌ وَعُمُقٌ كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ لَهَا طُولٌ وَعَرْضٌ وَعُمُقٌ وَحَجْمٌ وَشَكْلٌ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ بِلَا شَكٍّ مَخْلُوقًا مِثْلَ الْمَخْلُوقِينَ مُحْتَاجًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِذَلِكَ الطُّولِ وَذَلِكَ الْعَرْضِ وَذَلِكَ الْعُمُقِ وَالِاحْتِيَاجُ يُنَافِي الْأُلُوْهِيَّةَ فَوَجِبَ عَقْلًا تَنْزِيهُهُ اللَّهُ عَنِ الْمَكَانِ. هَذَا الدَّلِيلُ مِنَ الْعَقْلِ.

أَمَّا مِنَ الْقُرْآنِ فَيَدُلُّ عَلَى تَنْزِيهِهِ اللَّهُ عَنِ الْمَكَانِ آيَاتٌ مِنْهَا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَادَةُ الْجَامِعَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) ﴿سورة الشورى﴾. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ اللَّهُ لَهُ مَكَانٌ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ لَا تُحْصَى وَهَذَا مُنَافٍ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ الْمُحْكَمَةُ كَافِيَةٌ لِتَنْزِيهِهِ اللَّهُ عَنِ الْمَكَانِ وَالْحَيِّزِ وَالْجِهَةِ بَلْ وَعَنْ سَائِرِ أَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَى تَنْزِيهِهِ اللَّهُ عَنِ الْمَكَانِ فَمِنْهُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمَةَ وَغَيْرُهُمَا بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ". وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا فِي الْأَزَلِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ لَا مَاءٌ وَلَا هَوَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا كُرْسِيُّ وَلَا عَرْشٌ وَلَا إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ وَلَا مَلَائِكَةٌ وَلَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ وَلَا جِهَاتٌ فَهُوَ تَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ الْمَكَانِ بِلَا مَكَانٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَانَ فَلَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ وَمَنْ هُنَا قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانٌ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ" أَيُّ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ وَهَذَا مَفْهُومٌ بِوُضُوحٍ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ "اسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي نَفْيِ الْمَكَانِ عَنِ اللَّهِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ"

وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ" ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ " وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَلَا دُونَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ " اهـ.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَمَا ذَكَرْنَا وَكَمَا تَعْرِفُونَ مِنْ أُصُولِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ بَلْ هِيَ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ سَلَفُهُمْ وَخَلْفُهُمْ وَقَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَأَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ وَإِمَامِ الْحَرَمِيِّ الْجَوْنِيِّ وَالرَّازِيَّ وَغَيْرُهُمْ وَنَصُّ عِبَارَةِ الْبَغْدَادِيِّ فِي كِتَابِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ " وَأَجْمَعُوا . أَيُّ أَهْلِ السُّنَّةِ . أَنَّهُ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ " . وَلِذَلِكَ فَإِنَّ فَهْمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ جَيِّدًا مَعَ التَّمَكُّنِ مِنْ أَدِلَّتِهَا تَمَكُّنًا تَامًّا مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ فَاحْرِصْ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ فَهْمِهَا وَحِفْظِهَا وَبَيَانِهَا وَتَعْلِيمِهَا فَدِينُ اللَّهِ عَالٍ عَالٍ جِدًّا وَالشُّدُودُ فِي الْإِعْتِقَادِ شَدِيدُ الْخَطْرِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَارْزُقْنَا هِمَّةً عَالِيَةً لِنُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ ، وَنَعُودُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ. عِبَادَ اللَّهِ أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَأَذْكُرُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ " الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ " فَالْمُتَمَسِّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ

حَبِيبِنَا الْمُصْطَفَى مِنَ الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ وَمِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنَ تَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَشُدُّوا هِمَمَكُمْ فِي نُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ وَتَبْلِيغِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ

اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(٥٦) ﴿ سورة الأحزاب. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا

صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى

ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ

مَجِيدٌ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ،

يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى

النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴿ سورة الحج. اللَّهُمَّ

إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَبِحَاهِ مُحَمَّدٍ اسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا، اللَّهُمَّ بِحَاهِ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا

فِي أَمْرِنَا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا

مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ بِحَاهِ مُحَمَّدٍ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَامِنِ رُوعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا

نَتَخَوَّفُ.